الثبات عند الابتلاء
في ضوء العقيدة الإسلامية

إعداد:

د. عائشة بنت محمد بن سعد القرني

أستاذة مشاركة في العقيدة والدعوة – قسم الشريعة والدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الملخص:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فهذا البحث بعنوان: الثبات عند الابتلاء في ضوء العقيدة الإسلامية. ويرجع أهمية هذا الموضوع لكثرة الآيات الكريمة التي تتحدث عن الابتلاء والثبات في القرآن الكريم، ولارتباط الموضوع بحقيقة وجود الإنسان وحياته ومستقبله بعد مماته وأن الابتلاء عام لكل بني البشر وخاصة المؤمنين منهم، ولكثرة عوامل الابتلاء في العصر الحاضر، وقد اتبعت في البحث المنهج الاستقرائي بعرض المادة العلمية، والتحليلي بشرح الأدلة، وشمل بحثي على خطة تشمل المقدمة، والخاتمة، وبينهما ثلاثة فصول، والفهارس. ففي **الفصل الأول تكلمت عن الابتلاء، ومفهومه، والحكمة منه،** وأنواعه، وفي **الفصل الثاني تكلمت عن الثبات عند الابتلاء** عوامل الثبات. وبعد أن أتممت البحث توصلت إلى عدد من النتائج، أبرزها؛ النظر إلى العدالة الإلهية لا يقتصر على مظاهر الآلام والمصائب بل لابد من التفكير في المسؤولية والحساب والجزاء والحكم، وأن الابتلاء حقيقة من حقائق الحياة الدنيا، ولا مفر للعبد منها.

الكلمات المفتاحية: الثبات، الابتلاء، ثمرات الثبات، عوامل الثبات.

Abstract

All praise be to Allah, Lord of all realms. May the blessings and peace of Allah be upon the most noble of prophets and messengers, our Prophet Muhammad, and upon all his family and companions.

This study is entitled, Steadfastness under Trials in Light of Aqidah (Islamic Creed). This topic is of paramount importance on account of the facts that it has been dealt with in several verses in the Holy Quran; that it is closely connected to the truth of human existence, early life and life after death, emphasizing that trials and tests are normal for all human beings, especially the believers; and that trials have been even more common and harder at the present time. In the current study, the researcher adopted the inductive reasoning approach through presenting the scientific material, and the analytical approach through explaining the evidence. The study also included a plan specifying an **introduction, conclusion, two chapters, and indexes**. Speaking of the two chapters, the **first chapter** concerned itself with trials, their concept, wisdom, and types. The **second chapter** addressed steadfastness under trials and factors of steadfastness. Having completed the study, the researcher has achieved a number of results, most notably: Consideration of divine justice is not limited to pains and calamities; rather it is also about responsibility, accountability, reward, and judgment. Trials and tests are an inevitable fact of life.

Keywords: Steadfastness - Trials - Tests - The Fruit of Steadfastness - Factors of Steadfastness

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه الله بالحق والهدى والرشاد، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ونصلي ونسلم على رسول الله الذي أُبتليَ فصبر وشكر، وجاهد في الله حق جهاده حتى انتصر، ورضي الله عن صحابته المبتلين الأخيار، الذين فُتنوا فصدقوا، وصبروا وثبتوا، فما وهنوا وما استكانوا، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

إن الله تعالى لما خلق الخلق وأبدع الكون ذكر سبحانه الحكمة من هذا الخلق وهي: عبادته وذكره، وتحكيم منهجه في الأرض، وعلم أن الناس قد يدّعون الإيمان ويظهرون الطاعة؛ لهذا كان لابد من اختبار يبين الله فيه الصادق من الكاذب، والصابر، من الجازع، والمؤمن من المنافق، وهذا الامتحان هو ما عبر القرآن الكريم عنه بلفظ الابتلاء الذي جعله الله أصلاً في الحياة فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ (١)، هذا الابتلاء ليس له حدود ولا زمان، ولا يمنعه موقع ولا مكان، تُعرف به قلوب العباد وتقسم الدرجات في الآخرة على قدر الثبات في ابتلاء الدنيا، ولما كان شأن الابتلاء عظيماً جعله الله أنواعاً عديدة، وأشكالاً كثيرة، والبلاء امتحان عام شمل الأنبياء والصالحين عبر الزمان، والصبر على الابتلاء مفتاح قوي لجلب الرحمة الإلهية، والدخول في فضل الله الواسع.

أهمية الموضوع:

١) هذا الموضوع له أهمية كبرى في حياة الناس أجمعين لكثرة الآيات الكريمة التي تتحدث عن البلاء والابتلاء في القرآن الكريم.

٢) لارتباط الموضوع بحقيقة وجود الإنسان وحياته وبعد مماته، ولأن الابتلاء عام لكل بني البشر وخاصة المؤمنين منهم، ولكثرة البلاء في زماننا وشدته

(١) سورة الملك، آية (٢).

وقوته.

أسباب الاختيار:

١. لجهل بعض الناس بالابتلاء وبكيفية التعامل معه وكثير مما يتعلق به.
٢. خطأ بعض الناس المبتلين وغفلتهم بأن هذه الدار هي دار ابتلاء وأن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم.
٣. لما للموضوع من أهمية خاصة في حياة الدعاة والمجاهدين وحياة الناس عامةً.

الدراسات السابقة:

١- سُنَة الابتلاء في القرآن الكريم، رسالة علمية لنيل درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، في نابلس، فلسطين، إعداد/ رجب نصر موسى الأنس.

درس الباحث الموضوع وفصّل كثيراً في البلاء، إلا أن الفرق بين بحثي وبحثه بأنني سأضيف:

- العوامل التي تساعد المُبتلى على الثبات عند البلاء، وثمرات الثبات.

٢- الأبعاد التربوية لسُنَّةِ الابتلاء في ضوء الفكر التربوي الإسلامي، رسالة علمية لنيل درجة الماجستير في أصول التربية، بكلية التربية في الجامعة الإسلامية، غزة، إعداد الطالب/ محمد إسماعيل سيد أبو سخيل.

منهج البحث:

وأما عن منهجي في البحث، فقد اتبعت في البحث المنهج الاستقرائي في جمع المعلومات وتنظيمها، والتحليلي في الوصول إلى شرح الأدلة وما تتضمنه من معاني، واتبعت الخطوات التالية:

أولاً: وضعت الآيات الكريمة بالخط العثماني بين قوسين مزهرين﴿.....﴾

ثانياً: عزوت الآيات لمواضعها من السور وأرقامها.

ثالثاً: وضعت الأحاديث النبوية الشريفة بين القوسين ().

رابعاً: خرّجت الأحاديث النبوية وعزوتها إلى مصادرها، فإن كان الحديث متفقاً عليه أو في أحد الصحيحين أكتفي بالعزو إليهما.

خامساً: عند ذكر المراجع في الحاشية فإني أكتفي بذكر اسم المصدر والمؤلف والجزء والصفحة، وأذكر المعلومات كاملة في قائمة المصادر.

خطة البحث وتقسيماته:

وخطتي في البحث تتكون من مقدمة، وفصلين، وخاتمة وفهارس.

المقدمة: وتشمل أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج البحث:

- الفصل الأول: الابتلاء مفهومه والحكمة منه، ويشمل مبحثين:
  - المبحث الأول: مفهوم الثبات والابتلاء.
  - المبحث الثاني: أنواع الابتلاء والحكمة منه.
- الفصل الثاني: الثبات عند الابتلاء، ويشمل مبحثين:
  - المبحث الأول: عوامل الثبات.
  - المبحث الثاني: ثمرات الثبات.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها، والتوصيات.

الفهارس: ويحتوي البحث على الفهارس التوضيحية التالية:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

نسأل الله العون والتوفيق.. والسداد

الفصل الأول

الابتلاء مفهومه والحكمة منه

المبحث الأول: مفهوم الثبات والابتلاء

أولاً: مفهوم الثبات:

- الثبات لغة:

كلمة الثبات مأخوذة من الفعل (ثبت)، يقال: يَثبُتُ ثَباتاً وثُبُوتاً: استقر فهو ثابت[١]، والثبات ضد الزوال، والثبات والثبُوت ضد التَّزَلْزُل[٢].

الثبات اصطلاحاً:

هو الاستقامة على الهدى والتمسك بالتقى، وإلجام النفس وقسرها على سلوك طريق الحق والخير وعدم الالتفات إلى صوارف الهوى والشيطان، ونوازغ النفس والطغيان، مع سرعة الأوبة والتوبة حال ملابسة الإثم أو الركون إلى الدنيا[٣].

ثانياً: مفهوم الابتلاء:

- الابتلاء لغة:

الباء واللام والواو والياء، أصلان: أحدهما: إخلاق الشيء، والثاني: نوع من الاختبار، ويحمل عليه الإخبار أيضاً، يقال ابتليته فأبلاني، أي: استخبرته فأخبرني، وأبلى في الحرب بلاءً حسناً إذا أظهر بأسه حتى بلاه الناس وخبروه، فالبلاء والابتلاء، والفتنة، والامتحان، والاختبار خمسة ألفاظ مختلفة تشترك في الدلالة على معنى واحد هو الاختبار. والابتلاء مأخوذ من الفعل (ابتلى)، ومجردة من بلى، ويقال: بلوت الرجل وأبليت عنده بلاءً حسناً، وابتليته: أختبرته، وأصله من بلاه يبلوه ابتلاه أي جربه. الاسم منه: بلاء،

---

(١) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، "لسان العرب"، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٣هـ)، (٢٠/٢).

(٢) انظر: محمد عبد الرؤوف المُناوي، "التوقيف على مهمات التعاريف"، تحقيق: محمد الداية، (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٣هـ)، ص(٢١٩).

(٣) انظر: محمد بن حسن موسى، "الثبات"، (ط٥، دار الأندلس الخضراء، ١٤٢١هـ)، ص(١٩).

والابتلاء جمع: البلايا والاختبار، والمعروف أن الابتلاء يكون في السراء والضراء معاً، غير فرق بين فعليهما، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (١)(٢).

- الابتلاء (اصطلاحاً):

الاختبار من الله عز وجل لعباده عن علم منه سبحانه بباطن أمرهم وظاهره، وإنما يبتليهم ليظهر منهم سابق علمه فيهم"(٣).

قال الشوكاني: الابتلاء: "الامتحان والاختبار، أي: ابتلاه بما أمره به"(٤).

وقال الزحيلي: "الابتلاء هو الاختبار، أي: معرفة حال المختبر بتكليفه بأمور يشق عليه فعلها أو تركها؛ ليجازيه عليها"(٥).

وقال الكفوي: "الابتلاء التكليف في الأمر الشاق، ويكون في الخير والشر معاً، ولكنهم عادة يقولون: في الخير أبليته إبلاء وفي الشر: بلوته بلاءً"(٦).

ثالثاً: الابتلاء في الاستعمال القرآني:

وردت مادة (بلو) في القرآن (٣٦) مرة، يخص موضوع البحث منها (٣٤) مرة، والصيغ التي وردت عليها هي: (١)

---

(١) سورة الأنبياء: آية رقم (٣٥).

(٢) أحمد فارس بن زكريا الرازي، "معجم مقاييس اللغة"، (دار الفكر، ١٣٩٩هـ)، (٢٩٢/١)، و الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، "أساس البلاغة"، تحقيق: محمد باسل، (دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، (٧٧/١)، وأبو فارس، محمد عبد القادر، "الابتلاء والمحن وأثره في الدعوات". (القاهرة: دار النشر والتوزيع الإسلامية)، ص(١١). وابن منظور، "لسان العرب"، (٥٠٩/١-٥١٠)، وابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، "الحسنة والسيئة"، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص(٣٤).

(٣) عبد الرحمن الثعالبي، "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، تحقيق: أبو أحمد الغماري الإدريسي الحسيني، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ)، (١١١/١).

(٤) الشوكاني، محمد بن علي، "فتح القدير"، (دار ابن كثير دمشق: ١٤١٤هـ)، (١٥٠/١).

(٥) وهبة الزحيلي، "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج"، (بيروت: دار الفكر المعاصرة)، (٣٠٢/١).

(٦) أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى، "الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية"، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، (الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت)، (٩/١).

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ ﴾[٢] بصيغة الماضي.

﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ ﴾[٣] بصيغة المضارع.

﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾[٤] بصيغة الأمر.

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾[٥] بصيغة الاسم.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾[٦] بصيغة اسم فاعل.

ولم يختلف معنى (الابتلاء) في القرآن الكريم عن معناه اللغوي الذي يدور حول الاختبار والامتحان.

البلاء والابتلاء يلتقيان في معنى الاختبار والامتحان. وابتليته: اختبرته، والبلاء: الغم كأنه يبلي الجسم، والتكليف بلاء، لأنه شاق على البدن أو لأنه اختبار، والبلاء يكون منحة ويكون محنة ، والبلاء يكون حسناً، ويكون سيئاً، وأصله المحنة، والله عز وجل يبلو عبده بالصنع الجميل ليمتحن شكره، ويبلوه بالبلوى التي يكرهها ليمتحن صبره، فقيل للحسن بلاء وللسيء بلاء[٧].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ ﴾[٨]، الابتلاء هو: استخراج ما عند المُبتلى، وتعرف حاله في الطاعة والمعصية بتحميله المشقة، ويقال للنعمة بلاء، لأنه يستخرج بها الشكر[١].

---

(١) انظر: محمد فؤاد عبدالباقي، "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم"، (دار الحديث القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٤هـ)، (ص١٣٥-١٣٦).

(٢) القلم: آية (١٧).

(٣) الأنعام: آية (١٦٥).

(٤) النساء: آية (٦).

(٥) الصافات: آية (١٠٦).

(٦) المؤمنون: آية (٣٠)

(٧) مجد الدين فيروز أبادي، "القاموس المحيط"، تحقيق: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٩هـ)، (٣٠٥/٤) بتصرف، القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: ٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م) ، (٣٨٧/١).

(٨) الأنبياء: آية (٣٥).

المبحث الثاني: أنواع الابتلاء والحكمة منه

الابتلاء سنة إلهية لابد منها، والله عز وجل يكشف الحقائق عبر هذه الابتلاءات.

فالابتلاء يكون من الله وحده لعباده المؤمنين، تمحيصاً لإيمانهم، واختباراً لقدرتهم على الثبات على هذا الدين الحنيف.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[٢]، ولقد اختبرنا أتباع الأنبياء من الأمم السالفة وأصبناهم بضروب من البأساء والضراء فصبروا وعضوا على دينهم بالنواجذ [٣].

وهذه السنة الإلهية لا ينجو منها أحد، بل ربما زاد بعض البشر على بعض في البلاء، إذ يرتبط الابتلاء بقيم متعددة؛ كالصبر واليقين والثبات والتفاؤل والتوكل والثقة بالله، لذلك يلحق الإنسان من البلاء بقدر تحمله.

وهو ما يوحي به قول عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ[٤] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَةِ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «قَدْ قَضَى» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَبَكَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ

---

(١) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله "الفروق اللغوية"، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، (الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر)، ص(١٣٩).

(٢) سورة العنكبوت: آية (٣).

(٣) المراغي، أحمد بن مصطفى، "تفسير المراغي"، (الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط: ١، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م)، (١١٢/٢٠).

(٤) هو: عَبْد اللَّه بن عُمَر بن الخطاب الْقُرَشِيّ العدوي. أمه وأم أخته حفصة: زينب بِنْت مظعون بن حبيب الجمحية، أسلم مَعَ أَبِيهِ وهو صغير لم يبلغ الحلم، وأجمعوا عَلَى أَنَّهُ لم يشهد بدرًا، استصغره النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فردَّه، واختلفوا فِي شهوده أحدًا، وشهد غزوة مؤتة مَعَ جَعْفَر بن أَبِي طَالِب رَضِي اللَّه عَنْهُمْ أجمعين، وشهد اليرموك، وفتح مصر، وَإِفريقية. وكان كَثِير الأتباع لآثار رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مات سنة اثنتين أو ثلاث وسبعين وجزم مرة بثلاث. ١) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد، "أسد الغابة"، (ن: دار الفكر – بيروت، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م)، (٢٣٦/٣)، ابن حجر، أحمد بن علي، "الإصابة في تمييز الصحابة"، تحقيق: عبد الله بن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث، (ن: دار هجر، مصر، ط١– ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م)، (١٥٥/٤).

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَى القَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَوْا، فَقَالَ: «أَلاَ تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلاَ بِحُزْنِ القَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا – وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ – أَوْ يَرْحَمُ، وَإِنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»[١]، والابتلاء يكون لاختبار صدق الإيمان، أو للتمييز بين من يثبت، ومن لا يثبت على إيمانه، وقد يكون لزيادة الإيمان.

أولاً: اختبار صدق الإيمان:

قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[٢].

فلابد من اختبار صدق الإيمان، فليس كل من ادعى الإيمان بلسانه آمن قلبه، فهناك المنافقون الذين يبطنون الكفر، ويظهرون الإسلام.

قال الشنقيطي: "إن الناس لا يُتركون دون فتنة، أي: ابتلاء واختبار، لأجل قولهم: آمنا، بل إذا قالوا: آمنا فُتنوا، أي: أُمتحنوا وأُختبروا بأنواع الابتلاء"[٣].

ثانياً: ابتلاء الثبات على الإيمان:

قال تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾[٤].

زلزالٌ لبيان الثبات، أو عدمه. (ابْتُلِيَ) أي: أُزعجوا وحُرّكوا، فمن ثبت منهم كان من الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وبذكر الله تطمئن مرة أخرى، وهم المؤمنون حقاً[٥].

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[١]، زُلزلوا ليظهر من يثبت، ومن ينقلب على عقبيه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض ح (١٣٠٤)، ومسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت (٩٢٤).

(٢) العنكبوت: آية (٢).

(٣) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، (الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م)، (١٥٥/٦).

(٤) سورة الأحزاب: آية (١١).

(٥) فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، (الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ). (١٦١/٢٥).

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾[٢]

وقال أيضاً: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[٣].

وفي الآية استئناف لإيقاظ المؤمنين إلى ما يعترض أهل الحق وأنصار الرسل من البلوى، وتنبيه لهم على أنهم إن كانوا ممن توهنهم الهزيمة فليسوا أحرياء بنصر الحق، وهذا كله ابتلاء لاختبار الثبات على الإيمان. [٤]

ثالثاً: ابتلاء زيادة الإيمان:

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾[٥]، وهو بلاء ليس لأي أحد، ومثاله: ابتلاء إبراهيم لمنصب الخُلّة بذبح ولده.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾[٦].

إن هذا لهو البلاء المبين، أي: الاختيار البين الذي يتميز ويتفاضل فيه المخلص من غيره، إشارة إلى أن هذا الأمر كان ابتلاء وامتحاناً لإبراهيم في صدق الخلة لله، وتضحية أعز عزيز لديه، وأحب محبوب عنده، لأمر ربه تعالى[٧].

---

(١) سورة البقرة: آية (٢١٤).

(٢) سورة محمد: آية (٣١).

(٣) سورة آل عمران: آية (١٨٦).

(٤) ابن عاشور، محمد طاهر، "التحرير والتنوير"، (تونس: دار مصر للطباعة، ١٤١٧هـ)، (١٨٩/٤).

(٥) سورة الصافات: آية (١٠٦).

(٦) سورة الصافات: آية (١٠٢-١٠٦).

(٧) انظر: جمال الدين القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد، "محاسن التأويل"، المحقق: محمد باسل عيون السود، (الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، ط: ١ – ١٤١٨ هـ)، (٢١٩/٨).

قال ابن القيم رحمه الله: "ومِن علاجه أن يعلم أن الذي ابتلاه بها أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاء ليهلكه به، ولا ليعذبه به، ولا ليجتاحه، وإنما افتقده به ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه، وليسمع تضرعه وابتهاله، وليراه طريحًا ببابه، لائذًا بجنابه، مكسورَ القلب بين يديه، رافعًا قصص الشكوى إليه[١].

وفي إنزال البلاء بالعباد تتعدد وتتنوع بحسب الأحوال؛ فمن ذلك:

١- إنزال البلاء لرفع درجات المؤمنين الصابرين الصادقين:

فمن ذلك ابتلاء الله تعالى عباده المؤمنين الصادقين بالجهاد في سبيله، وفيه صنوف من الأذى والابتلاء بالقول والفعل، وأذى في الأموال بنقصها وهلاكها، وفي الأنفس بالجراحات والأسقام والأوجاع والقتل؛ قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[٢]

وبين أن ذلك الابتلاء إنما هو لحكمة اختبار صبرهم وعزيمتهم، وبه تُرفع درجاتهم، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٣]. حُبّ الدنيا لا يجتمع مع سعادة الآخرة، وأيضاً حبّ الله وحبّ الآخرة لا يتم بالدعوى، فليس كل من أقر بدين الله كان صادقاً، ولكن الفصل فيه إرسال المكروهات والمحبوبات؛ فإن بقي الحب عند أسباب البلاء ظهر أن ذلك الحب كان حقيقياً، فلهذه الحكمة قال: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة بمجرد تصديقكم الرسول قبل أن يبتليكم الله بالجهاد وتشديد المحنة [٤].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (٤/ ١٧٨).

(٢) سورة آل عمران: آية (١٨٦).

(٣) سورة آل عمران: آية (١٤٢).

(٤) انظر: فخر الدين الرازي، "مفاتيح الغيب"، (١٩/٩).

وبنحو ذلك جاء قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾(١).

كما أن الله تعالى قد ابتلى الأنبياء والمرسلين، وهم ليسوا عصاة ولا مذنبين فيُظنّ أنّ ابتلاءهم عقاب لهم، وقد غفر الله لرسوله – صلى الله عليه وسلم – ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك كان – صلى الله عليه وسلم– أشد الناس بلاءً، وكان ذلك في أغلب أحوال الأنبياء لرفع درجاتهم وليتأسى الناس بصبرهم وحُسن بلائهم؛ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ ﴾(٢).

فما تعرض له النبي – صلى الله عليه وسلم – ومن سبقه من الرسل لم يكن عقوبة ولا مقابل ذنوب فعلوها؛ وإنما ذلك سُنة ماضية من الله تعالى يعقبها رفعة من الله لأوليائه بصبرهم على البلاء، وذلك بنصر رسله وإعزاز دينه وأهله العاملين به الصابرين في البأساء والضراء المجاهدين فيه.

في سياق تفسيره الآية السابقة تسلية من الله – تعالى ذكره – لنبيه محمد –صلى الله عليه وسلم–، وتعزيةٌ له: إنْ يكذبك، يا محمد، هؤلاء المشركون من قومك، فيجحدوا نبوّتك، وينكروا آيات الله أنها من عنده فلا يحزنك ذلك، واصبر على تكذيبهم إياك وما تلقى منهم من المكروه في ذات الله، حتى يأتي نصر الله. ولقد جاءك يا محمد مِن خبر مَنْ كان قبلك من الرسل، وخبر أممهم، وما صنعتُ بهم – حين جحدوا آياتي وتمادوا في غيهم وضلالهم –، فانتظر أنت أيضاً من النصرة والظفر مثل الذي كان منّي فيمن كان قبلك من الرسل إذ كذبهم قومهم، واقتدِ بهم في صبرهم على ما لَقُوا من قومهم (٣).

---

(١) سورة البقرة: آية (٢١٤)

(٢) سورة الأنعام: آية (٣٤)

(٣) أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، المحقق: أحمد محمد شاكر، (الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م)، (٣٣٥/١١).

ليس من الحتم أن يكون ما نزل بالمؤمنين من البلاء عقوبة؛ بل قد يكون خيراً لهم؛ إما لرفع درجاتهم، وإما لتمحيصهم وإخلاص قلوبهم لله تعالى كما سيأتي. وإما ليزدادوا من الله تعالى قرباً وتضرعاً، وهذا يدعو إلى الرضى بقضاء الله تعالى الذي نزل بنا، ورضى العبد هو مفتاح رضى الرب؛ فإذا رضي الربُّ رفع الكرب.

٢- إنزال البلاء لتمحيص المؤمنين وتبين الصادق من الكاذب: (١)

إنّ الله تعالى لا يقبل من العباد أن يكون إيمانهم مجرد دعوى فارغة من الدليل والبرهان؛ فلابد لكلّ ادّعاء من بينة على صحته؛ قال تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾(٢)

وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾(٣).

والابتلاء هو الذي يميز الخبيث الذي يَكْفُر ويسخط ويقنط، من الطيب الذي يؤمن ويرضى ويصبر. قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾(٥).

فالمؤمنون الصادقون هم الذين يجتازون اختبارات الإيمان دون شك أو ارتياب، مع الثبات والمجاهدة والمثابرة؛ قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ

---

(١) التمحيص يدور حول معاني الابتلاء والاختبار وتخليص المعدن مما يشوبه ليرجع لأصله؛ فمعناه اختبار المؤمنين وتنقية قلوبهم وصقل إيمانهم. ومنه: "مَحَصْتُه مَحْصا: خَلَّصْتُه من كلِ عَيْب". الخليل بن أحمد بن عمرو، "العين"، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (الناشر: دار ومكتبة الهلال)، (محص) (١٢٧/٣). وانظر: زين الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، "مختار الصحاح"، المحقق: يوسف الشيخ محمد، (الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط: ٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) (محص)، (ص٢٨٢).

(٢) سورة آل عمران: آية (١٥٤).

(٣) سورة آل عمران: آية (١٧٩).

(٤) سورة العنكبوت: آية (١-٣).

(٥) سورة محمد: آية (٣١).

أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[1].

فمن حِكَم هذه المحنة التي نحن فيها تمييز الصادق من الكاذب؛ فالصادق في إيمانه هو الذي يراجع نفسه، ويرضى بقضاء الله تعالى ويراه عدلاً، فيرضى الله تعالى عنه حينما يرى صدقه ونصحه وخلوص قلبه لله تعالى ودينه القويم.

٣- إنزال البلاء تكفيراً لخطايا المؤمنين ومحواً لسيئاتهم:

ليعلمْ العبد المؤمن أنه ما من بلاء نزل إلا بذنب؛ فمن حكمة إنزال البلاء تكفير الخطايا ومحو السيئات؛ فعن أبي هريرة[2] – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: «لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ أَوِ الْمُؤْمِنَةِ، فِي جَسَدِهِ، وَفِي مَالِهِ، وَفِي وَلَدِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ»[3].

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[4]

فالله تعالى من رحمته يعفو عن كثير من الذنوب، ويعاقب العبد على بعضها ليرتدع وينزجر عن غيه، ويكون في ذلك تكفير لسيئاته؛ فالحِكَم قد تتعدد فيكون البلاء عقوبة للمؤمن ويكون كفارة في الوقت نفسه كذلك – ما دام العبد يتلقى المصاب بنفس

---

(١) سورة الحجرات: آية (١٤-١٥).

(٢) هو: أبو هريرة الدوسي اليماني، حافظ الصحابة، اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً، فقيل: عبدالرحمن بن صخر، وقيل عبد الله بن عامر، وقيل غير ذلك من قبيلة دوس. صحابي. راوية الإسلام. أكثر الصحابة رواية. أسلم ٧هـ وهاجر إلى المدينة. ولزم النبي صلى الله عليه وسلم. فروى عنه أكثر من خمسة آلاف حديث. توفي ٥٩هـ. انظر: ابن قانع، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع، "معجم الصحابة"، ت: صلاح بن سالم المصراتي، (ن: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة، ط١- ١٤١٨).(١٩٤/٢)، وابن الأثير "أسد الغابة"، (٣١٨/٥)، وابن حجر "الإصابة"، (٢٩/١٣).

(٣) أخرجه الترمذي(٢٣٩٩)، وأحمد (٢٤٨/١٣) واللفظ له، وحسنه الألباني في المشكاة(١٥٦٧)، ومحققو المسند طبعة الرسالة.

(٤) سورة الشورى: آية (٣٠-٣١).

راضية مؤمنة – فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ(١)، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ(٢): عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»(٣).

٤ – إنزال البلاء عقوبة للكافرين والمنافقين ببعض ذنوبهم في الدنيا:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾(٤)، وذلك أن أهل الكفر إذا ما عتوا وطغوا، ولم يكن للمؤمنين حيلة بهم؛ فإن الله تعالى يُظْهِر بعض آياته ليطمئن المؤمنين، وليرتدع من شاء الله مِن الكافرين، فيصيبهم ببعض القوارع والبلايا ببعض ما صنعوا.

وهنا تتجلى قدرة الله تعالى في تحدي عُتاة الملحدين وطغاتهم حينما طغوا وتكبروا بما أوتوا من أسباب العلم والقوة في تحديهم بهذا الفيروس الضعيف الذي حيَّر العلماء والأطباء ووقف الجميع عاجزين عن صدِه وردِه لا يملكون له علاجاً ولا يجدون منه فكاكاً.

وقد يرتدع بعضُ الكافرين بهذه البلايا، لكن يَسْتمِر الباقون في غفلتهم حتى يفاجئهم المصاب بما قدمت أيديهم.

قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(٥).

---

(١) هو سعيد بن مالك بن سنان. أنصاري، مدني، من صغار الصحابة وخيارهم. كان من المكثرين للرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقيهًا مجتهدًا مفتيًا ممن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تأخذهم في الله لومة لائم. شهد معه الخندق وما بعدها توفي ٧٤ هـ. انظر: ابن حجر "الإصابة" (٣٤/٢).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، حديث (٥٢١٠) "واللفظ له"، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، حديث(٢٥٧٣).

(٤) سورة الرعد، آية (٣١).

(٥) سورة القصص، آية (٤٧).

وكما يُنزل الله البلاء والمصائب بالكافرين ينزلها بالمنافقين كذلك ببعض ذنوبهم لعلهم يرجعون؛ قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾[1]، وقد جاءت هذه الآية في سياق الكلام عن المنافقين.

٥- الاستعتاب للعباد لعلهم يرجعون ويتضرعون:

قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[2]، من أسباب إنزال الله البلاء وحكمته فيه معاقبة الناس ببعض ذنوبهم لعلّ ذلك يكون رادعاً لهم؛ لعلهم يرجعون عما هم فيه من الغي، ويتداركون أمرهم بالتوبة والتضرع إلى الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾[3]، فهذه البلايا والأوبئة هي من جملة الآيات التي يُذكّر الله بها عباده لعلهم يرجعون إليه؛ والسعيد هو من اتعظ بها فثاب إلى رشده، ورجع إلى ربه؛ فالاستعتاب إذن هو المقصد، وهذا المقصد لعله هو المقصد الأهم أو الأعظم؛ حيث يلوّح الله تعالى لعباده ببأسه وشدته لعلهم يتضرعون؛ فإذا أعرضوا مستهم بعذاب ببعض ذنوبهم؛ وهذا يدل على أنه قبل نزول العذاب تكون هناك مرحلة الاستعتاب للعباد[4].

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟

(١) سورة النساء، آية (٦٢).

(٢) سورة الروم، آية (٤١).

(٣) سورة السجدة، آية (٢١-٢٢).

(٤) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، "تفسير القرآن العظيم"، المحقق: محمود حسن، (الناشر: دار الفكر، الطبعة: الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، (٣/٢٥٦).

يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾[2].

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ ﴾، يعني: الفقر والضيق في العيش، (والضراء) وهي الأمراض والأسقام والآلام، ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ أي: يدعون الله ويتضرعون إليه ويخشعون. وقوله: ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾ أي: فهلا إذ ابتليناهم بذلك تضرعوا إلينا وتمسكنوا إلينا، ﴿ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: ما رقت ولا خشعت، ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: من الشرك والمعاصي. ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ أي: أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم، ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون، وهذا استدراج منه تعالى وإملاء لهم، عياذاً بالله من مكره؛ ولهذا قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا ﴾ أي: من الأموال والأولاد والأرزاق، ﴿ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾، أي على غفلة، ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ أي آيسون من كل خير" [3].

فلعل هذه المرحلة التي نحن فيها هي مرحلة الاستعتاب للناس، حيث يلّوح الله لهم بقدرته على أخذه إياهم بأنواع من الابتلاءات، كما قال ابن كثير: ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ ﴾ يعني: الفقر والضيق في العيش، ﴿وَالضَّرَّاءِ ﴾ وهي الأمراض والأسقام والآلام.

فما تلك الأمراض والأوبئة التي تنزل بالناس في صورة مختلفة (فيروسات كبدية أو نقص المناعة، أو فيروسات الجهاز التنفسي؛ كسارس وكورونا وهانتا فيروس وغيرها) تتجدد كل حين، كلما ظنوا أنهم قادرون عليها أصابهم الله بما يعجزون عنه؛ يستعتبهم بذلك لعلهم يراجعون أنفسهم ويُظهرون عجزهم وحاجتهم إلى ربهم، ويؤمنون

(١) سورة الأنعام، آية (٤٢-٤٤).

(٢) سورة الأعراف، آية (٩٤-٩٥).

(٣) انظر: ابن كثير، (تفسير القرآن العظيم) (٢٥٦/٣).

أنه لا يكشف الضر عنهم إلا هو: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[1].

فإذا لم يتوبوا ويتضرعوا ويراجعوا دينهم استدرجهم الله إلى حتفهم وإلى شر غاية ونهاية؛ فيعافيهم من تلك البلايا، ويبدل ما أصابهم من الأوبئة والأحوال السيئة أموراً حسنة من رغد العيش وسعته: ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[2]، وحينئذ تأتي النهاية البئيسة المباغتة، ويأتي استئصالهم بالعذاب: ﴿ بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[3].

(١) سورة الأنعام، آية (١٧-١٨).
(٢) سورة الأعراف، آية (٩٥).
(٣) سورة الأنعام، آية (٤٤).

الفصل الثاني

الثبات عند الابتلاء

المبحث الأول: عوامل الثبات

إن البلاء قدر الله الذي لا يفر منه المؤمن، بل قد يكون من علامات صدقه وقربه من الله عز وجل وعمله للدين، وهو سنة الأنبياء والمرسلين، وقد يكون البلاء شاقاً ولا تقبل به النفس؛ لعظمه، فيحتاج لزاد يستزيد منه ليحقق المقصود من البلاء، وهو الثبات والفرار من الله إلى الله. فيصل لمنزلة المقربين عند الله.

أولاً: عوامل تربوية:

١- **الصبر:** حبس النفس وضبطها[١]، والصبر المطلوب لنيل المقصود وهو حبس النفس عن الجزع، والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عما يغضب الله، والصبر أساس عظيم، وباب من أبواب الخير والهدى، حيث بشر الله تعالى أصحابه وقال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[٢]، قال ابن الجوزي: "للبلاء نهايات معلومة الوقت عند الله عز وجل، فلا بد للمبتلى من الصبر إلى أن ينقضي أوان البلاء، فإن تقلقل١ قبل الوقت، لم ينفع التقلقل، كما أن المادة إذا انحدرت إلى عضو، فإنها لن ترجع، فلا بد من الصبر إلى حين البطالة"[٣] فلو نظر العبد المصاب في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجد ما يعينه على الصبر ويجعل المصيبة نعمة وليست نقمة:

- معية الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[٤].
- جمع الله للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم (صلاة من الله عليهم، والرحمة والهدى لهم): ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

(١) انظر: إبراهيم مدكور، "المعجم الوسيط" (ط٢، تركيا: المكتبة الإسلامية)، ص (٥٠٥).
(٢) سورة البقرة: آية (١٥٥).
(٣) صيد الخاطر لابن الجوزي (ص: ١٧٠).
(٤) سورة البقرة: آية (١٥٣).

ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾[1].

- مضاعفة الأجر: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ ﴾[2].
- المغفرة والأجر الكبير: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾[3].
- قال السَّمَرقَنديُّ: اعلَمْ أنَّ العَبدَ لا يُدرِكُ منزلةَ الأخيارِ إلَّا بالصَّبرِ على الشِّدَّةِ والأذى، وقد أمر اللهُ تعالى نَبيَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بالصَّبرِ "[4].
- قال ابن الجوزي: "للبلايا نهايات معلومةُ الوقت عند الله عز وجل، فلا بد للمبتلَى من الصبر إلى أن ينقضي أوان البلاء، فإن تَقَلْقَلْتَ قبل الوقت لم ينفع التقلقل ... فلا بد من الصبر، والجَزَعُ لا يفيد، بل يفضح صاحبه، فاستعجال زوال البلاء مع تقدير مدته لا ينفع" [5]

٢- **التقوى:** وهي قرينة الصبر في كتاب الله، بل هي المعينة عليه، وهي معه جماع الخير وخلاصة العوامل التربوية للثبات، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[6] ومن موجبات التقوى التسليم والرضا بقضاء الله وقدره؛ لأن المؤمن التقي يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ويعلم أن الخلق لو اجتمعوا على أن يضروه أو ينفعوه بشيء لم يقدره الله له لم يفعلوا، فتكون النتيجة الرضا والتسليم الذي لا يصاحبه حسرة ولا سخط ولا اعتراض، فتكون ذلك إحدى ثمار التقوى.

٣- **الدعاء:** وهو سلاح المؤمن، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي ..﴾[7]. فالله تعالى كريم يستحي من عبده

---

(١) سورة البقرة: آية (١٥٧).
(٢) سورة القصص: آية (٥٤).
(٣) سورة هود: آية (١١).
(٤) تنبيه الغافلين (ص: ٢٤٨)
(٥) صيد الخاطر لابن الجوزي (ص١٧).
(٦) سورة يوسف: آية (٩٠).
(٧) سورة البقرة: آية (١٨٦).

إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً، وهو قدير غالب على أمره لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السموات، ولقد فتح الله بالدعاء كثير من الأمور المستعصية، فقد فرج الله عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة لما دعوه بصالح أعمالهم، وفرج عن النبي يونس عليه الصلاة والسلام بعد ما التقمه الحوت في البحر لما دعاه، وترك الله الباب لمن دعا بهذه الدعوة من جميع المؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(١).

٤- **مصاحبة الصالحين:** للرفقة الصالحة بركات لا تنحصر في الحياة دنيوية بل تتعدى للآخرة، فمرافقة الصالحين وخيار الناس وبالأخص أهل الثبات، عون بعد الله عز وجل ومنه لتهذيب النفس على الطاعة، والبعد عن المعصية، والثبات عند البلاء، فهم خير عون وناصح وموجه، فالعبد بحاجة للرفقة الصالحة فدلنا الله عز وجل فقال: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا ﴾(٢)، قام المغيرة بن مخادش ذات يوم إلى الحسن فقال: كيف نصنع بأقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير؟ فقال الحسن: والله لئن تصحب أقواماً يخوفونك حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى يلحقك الخوف(٣).

ثانياً: عوامل نفسية:

- استعداد النفس وتهيئتها لمواجهة البلاء: وذلك يكون بمعرفة حقيقة الدار الدنيا، حيث أنها دار ابتلاء وامتحان وزرع، فكل محنة في طياتها منحة ورحمات فتصبح النفس مهيأة للابتلاء والصبر على مصابها، ومحسنة الظن بربها، متيقنة بالعاقبة الجميلة.

---

(١) سورة الأنبياء: آية (٨٧).

(٢) سورة الكهف: آية (٢٨).

(٣) أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"، (ن: مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر، عام النشر: ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م)، (١٥٠/٢).

ثالثاً: عوامل معرفية:

١- **الاطلاع والعلم بهذا الباب العظيم:** وهو (الابتلاء وعوامل الثبات)؛ فمن علم أنواع الابتلاء وصوره، وعوامل الثبات عند الابتلاء سارع إلى العمل بها وتربية النفس عليها قبل وقوع البلاء وعند وقوعه. (١)

٢- **معرفة سنة الصراع بين الحق والباطل:** فهذا الصراع منذ أن خلق الله الإنسان، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾(٢) احتاج الأمر إلى بعثة نبي يجدد الإسلام والتوحيد فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وبعد بعثة هؤلاء الرسل عليهم السلام صارت الخصومة بين الرسل وأتباعهم، وبين أعداء الرسل من الشياطين وأولياءه وسيبقى هذا الصراع دائم مستمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

٣- **معرفة فقه الابتلاء وأحكامه:** الابتلاء سنة لله تعالى ماضية، وقدر الله الماضي، وهذه هي سنته في الأولين، وهذه هي سنة الله وقدره في حتمية تعرض الدعوة والدعاة والمصلحين إلى الأذى من أهل الباطل، فهو باب واسع على العبد أن يدرك فيه أن المصائب تطهير له من الذنوب، ونعمة تستحق الحمد والشكر(٣)، فبهذا الابتلاء ترفع درجات العبد وتضاعف حسناته، وتكفر سيئاته.

---

(١) انظر: مكتب الدراسات والتحقيق، "الابتلاء وعوامل الثبات"، (ط١، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ)، ص(٨٢).

(٢) سورة البقرة: آية (٢١٣).

(٣) انظر: التويجري، محمد بن إبراهيم ، "موسوعة فقه القلوب"، (عمان: بيت الأفكار الدولية، ١٤٢٧هـ)، ص(٢٢٠٦).

المبحث الثاني: ثمرات الثبات

إن من أقوى عوامل الثبات التي تعين العبد على ثباته العلم بثمراته وفوائده الدنيوية والأخروية، فهذه الثمرات لا تأتي إلا لمن صبر على جلد البلاء ومن هذه الثمرات:

١- معرفة معنى الربوبية والعبودية:

من أشرف مقامات العبودية أن يعلم العبد حين بلاءه أن لا ملجأ ولا منجى من بلائه سوى الفرار إلى العزيز العليم، وأن العزة والقوة والنصر من عند القوي المتين، فيزيد إيمان العبد، وتعلقه بربه، والالتجاء له بضعفه وفقره وحاجته فالله عز وجل لا يرد ولا يخيب من شكى حاله لمولاه؛ حتى عند نزول البلاء بالمؤمن بعد أن كان آمن مطمئن معافى فإن هذا يورث في القلب تعظيم للرب سبحانه ومعرفة حكمته وعدله وقدرته على تغير حاله من حال إلى حال، فمن أنزل البلاء قادر على رفعه.(١)

٢- تجريد الإخلاص لله عز وجل:

إن المحن والبلايا محك يُكشف بها ما في الصدور، فينفي عنها الزيف والرياء، ويكشف على حقيقتها بلاء طلاء، فالعبد المبتلى إذا صبر لوجه الله ورفع الشكوى له لا لغيره، وكتم بلواه عن الناس كان هذا هو عين الإخلاص.(٢)

٣- الإنابة والرجوع إلى الله وتصحيح المسار:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(٤)

إن حال العبد في وقت الشدة والأزمات خاضعاً منيباً راجياً قريباً من الله عز وجل، فالابتلاء يجعل العبد ذاكراً لله، ساعياً لنيل رضوانه، متجنباً ما لا يحبه

(١) انظر: مكتب الدراسات والتحقيق، "الابتلاء وعوامل الثبات"، ص(١٠٥).
(٢) المرجع السابق، (بتصرف)
(٣) سورة الأنعام: آية (٤٢-٤٣).
(٤) سورة الأعراف: آية (١٦٨).

الله ويرضاه، فيبعث له ما يكسر كبرياء نفسه ويجعله يسير إلى الله والدار الآخرة فيكون هذا البلاء بمثابة الدواء له.

قال ابن تيمية: "فإن من ذاق مرارة الابتلاء وعجزه عن دفعه إلا بفضل الله ورحمته، كان شهود قلبه وفقره إلى ربه واحتياجه إليه في أن يعينه على طاعته ويجنبه معصيته أعظم ممن لم يكن كذلك. ولهذا قال بعضهم: كان داود صلى الله عليه وسلم بعد التوبة خيرا منه قبل الخطيئة. وقال بعضهم: لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه"[١].

٤- تمحيص للقلوب ومحو للسيئات ورفع للدرجات:

قال تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[٢] فالله عز وجل يختبر الصدور وما بها من إيمان ونفاق، فالمؤمن لا يزداد بذلك إلا إيماناً وتسليماً، وإن من دواعي الصبر عند البلاء أن يعلم العبد المؤمن هذه الحقيقة، وأن الابتلاء بالمصائب والمحن تكفر سيئات العبد، وترفع بها الدرجات، حيث يبلغ العبد منزلة لا يبلغها بأعماله، فكثير من الأحاديث التي وردت في سنة النبي صلى الله عليه وسلم تجعل القلوب تمتلئ رضاً وعزماً وصبراً على البلاء، فعن أبي سعيد الخدري[٣] وأبي هريرة[٤] رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ»[٥] ما أجمل حين يستشعر العبد هذا الحديث ويعيه حتى الشوكة يؤجر عليها، إن الله عز وجل جعل لعباده

---

(١)منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٣٢).

(٢) سورة آل عمران: آية (١٥٤).

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، حديث (٥٢١٠) "واللفظ له"، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، حديث(٢٥٧٣).

المؤمنين منازل في دار كرامته، لم يبلغوها بأعمالهم فهيأ لهم الأسباب لتوصلهم لتلك المنازل من ابتلاءات ومحن.

٥- معرفة قدر نعمة العافية:

فكثير من النعم لا تدرك قيمتها إلا بعد فقدها، ومنها: نعمة العافية، فإذا عرف العبد قدرها شكر الله عليها، والشكر حق الشكر يعقبه زيادة في الخير من الله عز وجل حيث قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [١] وبهذا يصبح البلاء مفتاحاً لحصول النعم؛ من نعم الدنيا والآخرة.[٢]

٦- تذكر أحوال المبتلين من المسلمين:

يبتلى العبد ببلايا عديدة، وقد يرى غيره من المسلمين مصاب مثله أو أشد منه، فمنهم من: يُقتل، أو يسجن أو يعذّب، ومنهم من يفقد أهله أو ماله أو ولده أو أحبته، أو بعض من جسده، ومنهم من يُطرد أو يشرّد من بلده، فإذا نزل به البلاء، تذكر غيره، فيسعى لإعانة إخوانه والدعاء لهم في ظهر الغيب.

٧- صلابة عود المؤمن وتقويته للدعوة:

كلما اشتد البلاء على المؤمن كلما أصبح عوده أقوى في الدعوة، واشتدت صلابته، وزاد إصراراً لتحقيق الحق والعدل ومواجهة الباطل ورفع الظلم، والتضحية من أجل الله عز وجل ومن أجل دينه، لذا نرى الاختلاف بين السابقين من الصحابة في تضحياتهم جهادهم عمن بعدهم.

٨- زيادة الإيمان والانتصار على الهوى والنفس والشيطان:

إن المؤمن كلما صبر وزاد ابتلاءه زاد قربه من الله وإيمانه بالقضاء والقدر، وكلما صبر وصابر من النفس والهوى والشيطان بتمسكه بكتاب ربه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فيزداد إيمانه.

٩- فوائد خفية لا نعلمها:

مرجعها إلى علم الله وحكمته، وهي متفاوتة بحسب الأشخاص والأحوال، وليس كل ما تكرهه النفس شراً، إنما قد يكون فيه الخير من حيث لا يدري

---

(١) سورة إبراهيم: آية (٧).

(٢) انظر: مكتب الدراسات والتحقيق، "الابتلاء وعوامل الثبات"، ص(١١٠).

وقد تظهر الحكمة بعد الابتلاء[1]، كما قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾[2].

(١) ا مكتب الدراسات والتحقيق، "الابتلاء وعوامل الثبات"، ص(١١٦).

(٢) سورة البقرة: آية (٢١٦).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

فبعد إتمامي لهذا البحث، توصلت لعدد من النتائج، من أهمها:

١- النظر إلى العدالة الإلهية لا يقتصر على مظاهر الآلام والمصائب بل لابد من التفكير في المسؤولية والحساب والجزاء والحكم.

٢- أن الابتلاء حقيقة من حقائق الحياة الدنيا، ولا مفر للعبد منها.

٣- من حكم الله في ابتلاء عباده؛ أن يمحصهم ويهذبهم ويرفع درجاتهم.

٤- للابتلاء أنواع عديدة.

التوصيات:

١- على الداعية أن يستزيد علماً في فقه الابتلاء؛ ليستطيع الثبات أمام ما يواجهه في حياته.

٢- أوصي الباحثين من بعدي بالبحث في هذا الموضوع، وتسليط الضوء على جمال ثمراته.

وفي الختام، أحمد الله تعالى وأشكره على أن وفقني وأعانني حتى أتممت بحثي، وأسأله الإتقان والإخلاص والقبول، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرزقنا الثبات في القول والعمل إنه على كل شيء قدير.

وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

١) إبراهيم مدكور، "المعجم الوسيط" (ط٢، تركيا: المكتبة الإسلامية).

٢) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد، "أسد الغابة"، (ن: دار الفكر – بيروت، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م).

٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، "الحسنة والسيئة"، (بيروت: دار الكتب العلمية).

٤) ابن حجر، أحمد بن علي، "الإصابة في تمييز الصحابة"، تحقيق: عبد الله بن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث، (ن: دار هجر، مصر، ط١– ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م).

٥) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، (الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م).

٦) ابن عاشور، محمد طاهر، "التحرير والتنوير"، (تونس: دار مصر للطباعة، ١٤١٧هـ).

٧) ابن قانع، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع، "معجم الصحابة"، ت: صلاح بن سالم المصراتي، (ن: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة، ط١– ١٤١٨).

٨) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، "تفسير القرآن العظيم"، المحقق: محمود حسن، (الناشر: دار الفكر، الطبعة: الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

٩) ابن منظور، محمد بن مكرم، "لسان العرب"، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٣هـ).

١٠) أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى، "الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية"، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، (الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت).

١١) أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، المحقق: أحمد محمد شاكر، (الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م).

١٢) أبو فارس، محمد عبد القادر، "الابتلاء والمحن وأثره في الدعوات". (القاهرة: دار النشر والتوزيع الإسلامية).

١٣) أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"،

(ن: مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر، عام النشر: ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م).

١٤) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله "الفروق اللغوية"، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، (الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر).

١٥) أحمد فارس بن زكريا الرازي، "معجم مقاييس اللغة"، (دار الفكر، ١٣٩٩هـ).

١٦) البخاري، محمد بن إسماعيل "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ط: ١، ١٤٢٢هـ).

١٧) الترمذي، محمد بن عيسى، "الجامع الكبير – سنن الترمذي"، المحقق: بشار عواد معروف، (الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م).

١٨) التويجري، محمد بن إبراهيم، "موسوعة فقه القلوب"، (عمان: بيت الأفكار الدولية، ١٤٢٧هـ).

١٩) جمال الدين القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد، "محاسن التأويل"، المحقق: محمد باسل عيون السود، (الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، ط: ١ – ١٤١٨ هـ).

٢٠) حامد أحمد الطاهر البسيوني، "صحيح قصص القرآن"، (القاهرة، دار الحديث).

٢١) الخليل بن أحمد بن عمرو، "العين"، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (الناشر: دار ومكتبة الهلال).

٢٢) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، "أساس البلاغة"، تحقيق: محمد باسل، (دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م).

٢٣) زين الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، "مختار الصحاح"، المحقق: يوسف الشيخ محمد، (الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط: ٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).

٢٤) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، (الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م).

٢٥) الشوكاني، محمد بن علي، "فتح القدير"، (دار ابن كثير دمشق: ١٤١٤هـ).
٢٦) عبد الرحمن الثعالبي، "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، تحقيق: أبو أحمد الغماري الإدريسي الحسيني، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ).
٢٧) فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، (الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ).
٢٨) القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: ٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م).
٢٩) مجد الدين فيروز أبادي، "القاموس المحيط"، تحقيق: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٩هـ).
٣٠) محمد بن حسن موسى، "الثبات"، (ط٥، دار الأندلس الخضراء، ١٤٢١هـ).
٣١) محمد بن عبد الله الخطيب العمري، "مشكاة المصابيح"، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، (الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، ط: ٣، ١٩٨٥)
٣٢) محمد عبد الرؤوف المُناوي، "التوقيف على مهمات التعاريف"، تحقيق: محمد الداية، (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٣هـ).
٣٣) محمد فؤاد عبدالباقي، "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم"، (دار الحديث القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٤هـ)،
٣٤) المراغي، أحمد بن مصطفى، "تفسير المراغي"، (الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط: ١، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م).
٣٥) مسلم، مسلم بن الحجاج، "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم" المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، (الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت).
٣٦) مكتب الدراسات والتحقيق، "الابتلاء وعوامل الثبات"، (ط١، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ).
٣٧) وهبة الزحيلي، "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج"، (بيروت: دار الفكر المعاصرة).

ثانياً: الرسائل العلمية:

- الأبعاد التربوية لسنة الابتلاء في ضوء الفكر التربوي الإسلامي: محمد إسماعيل سيد أبو سخيل، ١٤٢٨هـ، قدمت هذه الدراسة في قسم أصول التربية بكلية التربية في الجامعة الإسلامية بغزة.

سنة الابتلاء في القرآن الكريم: رجب نصر موسى الأنس، ١٤٢٥هـ، قُدمت في قسم أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية بفلسطين.